الفصل الخامس : الخاتمة والتصيات

أ. الختامة

بناءً على نتائج البحث المتعلِّق بتحليل علم العروض والقوافي في قصيدة "كلامٌ قديمٌ" لابن عراق الدمشقي، مع الاستعانة بالمنهج السيميائي لتشارلز ساندرز بيرس بوصفه نظريةً داعمةً، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. من ناحية علم العروض، توصّل الباحث إلى أنّ هذه القصيدة نُظِمت على بحر الطويل، ووزنه: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن # فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ويشتمل هذا البحر على نوع واحد من العَروض، وهو العَروض المقبوضة، أي العَروض التي أصاب تفعيلتها زحاف القبض، وهو حذف الحرف الخامس الساكن، وبذلك تتحول تفعيلة 'مفاعيلن' إلى 'مفاعلن'. أمّا الضرب في هذا البحر فله ثلاثة أنواع، وهي: الضرب الصحيح بوزن 'مفاعيلن'، والضرب المقبوض بوزن 'مفاعلن'، والضرب المحذوف بوزن 'مفاعي'. أمّا الزحافات التي تدخل في حشو بحر الطويل فهي القبض والكف، غير أنّ الكف يُعدّ من الزحافات غير المستحسنة في هذا البحر.

وقد أظهرت شعر "كلامٌ قديمٌ" استعمالاً منتظماً ومتسقاً للأوزان العروضية، مما يدل على تمكّن الشاعر من نظم الأبيات وفق القواعد العروضية العربية. كما أنّ انتظام الأوزان أسهم في تحقيق توازنٍ صوتيٍّ جميل عند قراءة القصيدة أو إنشادها، الأمر الذي يؤكد أنّ علم العروض لا يقتصر على كونه مجموعةً من القواعد الفنية لتنظيم الشعر فحسب، بل يُعدّ أيضاً وسيلةً لإبراز الجمال الفني والموسيقى الشعرية في الأدب العربي.

أمّا من ناحية علم القوافي، فقد استُخرجت بيانات القافية من الكلمات الواقعة في أواخر الأشطر الشعرية، ثم حُدِّدت حروف الروي وأنواع القافية فيها. وقد أظهرت نتائج التحليل أنّ القافية المستعملة في الأبيات من

الأول إلى الخامس هي القافية المطلقة. كما بيّنت الدراسة أنّ قصيدة "كلامٌ قديمٌ" تتميز بانسجامٍ واتساقٍ في الحروف النهائية للأبيات، مما أضفى عليها طابعاً صوتياً متناسقاً وجمالاً إيقاعياً واضحاً. وقد أسهمت القافية في تحقيق الترابط بين الأبيات وتعزيز الرسالة التي أراد الشاعر إيصالها إلى المتلقي.

وتؤدي القافية في هذه القصيدة دوراً مهماً في بناء القيمة الجمالية للنص الشعري؛ إذ إنّ تكرار الأصوات في أواخر الأبيات يولّد إيقاعاً عذباً يسهل حفظه واستذكاره. ويُظهر ذلك الأهمية الكبيرة للعناصر الصوتية في الأدب العربي ودورها في تعزيز جمال الشعر وقوة تأثيره في النفوس. ومن خلال هذا الانسجام القافي، اكتسبت القصيدة حيويةً فنيةً وقيمةً جماليةً عاليةً.

2. ومن خلال توظيف المنهج السيميائي لتشارلز ساندرز بيرس، توصّلت هذه الدراسة إلى أنّ شعر "كلامٌ قديمٌ" تزخر بالعلامات والرموز التي تحمل دلالات عميقة ومتعددة الأبعاد. ووفقًا للنظرية السيميائية عند بيرس، تتكوّن العلامة من ثلاثة عناصر رئيسة هي: المُمَثِّل، والموضوع، والمفسِّر. وقد تجلّت هذه العناصر في الألفاظ والتراكيب الواردة في القصيدة، حيث لم تقتصر دلالاتها على المعاني الحرفية المباشرة، بل تجاوزتها إلى معانٍ روحية ورمزية أوسع.

وقد كشفت الدراسة عن وجود عدد من الرموز التي تُحيل إلى القيم الدينية والهداية الإلهية والطمأنينة النفسية. ومن ذلك الألفاظ المرتبطة بالنور والهداية والشفاء، إذ تحمل دلالات رمزية تشير إلى القرآن الكريم بوصفه مصدرًا للحق والهداية وسكينةً للنفوس. وفي هذا السياق، استطاعت العلامات الموظفة في القصيدة أن تفتح آفاقًا تأويلية واسعة أمام القارئ، بحيث لا يقتصر فهمه على المعنى الظاهر للنص، بل يمتد إلى إدراك المضامين الروحية والمعاني الباطنة الكامنة فيه. كما ساعد المنهج السيميائي عند بيرس في توضيح أن الشعر العربي الكلاسيكي يتميّز بتعدّد مستوياته الدلالية وتعقّد بنيته الرمزية، حيث يمكن النظر إلى كل لفظ أو تعبير شعري

بوصفه علامةً تمثّل فكرةً أو مفهومًا معيّنًا. ومن ثمّ، تُعدّ السيميائية من المناهج النقدية الملائمة للكشف عن الدلالات الرمزية الكامنة في النصوص الأدبية العربية، ولا سيّما القصائد ذات الطابع الديني والروحي. وإلى جانب قيمتها الجمالية، تحمل قصيدة «كلامٌ قديمٌ» أبعادًا أخلاقية وروحية بارزة، إذ تؤكد مضامينها أهمية اتخاذ القرآن الكريم منهجًا للحياة ومصدرًا للطمأنينة وعلاجًا لما يعتري الإنسان من هموم واضطرابات نفسية. وقد عبّر الشاعر عن هذه المعاني بلغة أدبية رفيعة وأسلوبٍ مؤثّر، مما أضفى على النص أثرًا وجدانيًا عميقًا لدى المتلقي. وأثبتت نتائج الدراسة كذلك وجود علاقة تكاملية بين علم العَروض وعلم القوافي؛ فالعَروض يسهم في تنظيم الإيقاع الشعري وضبط الأوزان، في حين تؤدي القافية دورًا مهمًا في تعزيز الانسجام الصوتي في أواخر الأبيات. ويشكّل هذان العنصران معًا الأساس البنائي الذي تقوم عليه وحدة القصيدة العربية وتماسكها الفني. ولذلك، فإن تحليل النص الشعري لا يكتمل بالوقوف عند الجوانب الدلالية فحسب، بل يتطلب أيضًا دراسة العناصر الصوتية والإيقاعية التي تمثّل إحدى السمات المميّزة للشعر العربي القديم. كما أظهرت نتائج البحث أنّ توظيف النظرية السيميائية بوصفها إطارًا نظريًا مساندًا قد أسهم في إثراء دراسة علم العَروض والقوافي؛ فإذا كان هذان العلمان يهتمان بالبنية الشكلية والجمالية الصوتية للقصيدة، فإن السيميائية تكشف عن الدلالات العميقة والمعاني الكامنة وراء العلامات والرموز المستخدمة في النص. ومن ثمّ، فإن الجمع بين المنهجين يفضي إلى قراءة أكثر شمولًا وتكاملًا للنص الشعري.

وخلاصة القول، تبيّن هذه الدراسة أن قصيدة «كلامٌ قديمٌ» لابن عراق الدمشقي تُعدّ نموذجًا متميّزًا للشعر العربي الذي يجمع بين جمال البناء الفني، وانتظام الإيقاع الموسيقي، وعمق الدلالة الروحية. وتتجلّى هذه الجمالية في حسن توظيف الأوزان والقوافي، بينما تظهر ثراءات المعنى من

خلال الرموز والعلامات التي أمكن الكشف عنها عبر المنهج السيميائي عند بيرس. وبذلك لا تقتصر قيمة هذه القصيدة على بعدها الأدبي والجمالي فحسب، بل تمتد لتشمل أبعادًا أخلاقية وروحية تجعلها ذات أهمية كبيرة في توجيه القارئ وإثراء تجربته الفكرية والوجدانية.

ب. قيود البحث

كما هو الحال في الأبحاث العلمية بشكل عام، فإن هذا البحث أيضاً لا يخلو من القيود. ومن بين هذه القيود: أولاً، يركز هذا البحث على نص شعري واحد فقط، وهو *كلام قديم*، وبالتالي لا يمكن تعميم نتائج البحث على جميع أعمال ابن عراق الدمشقي أو على الشعر العربي الكلاسيكي بشكل عام. ثانياً، التحليل في علم العروض والقوافي في هذا البحث يقتصر على تحديد البحر، والتفعيلة، وعناصر القافية السائدة في الشعر. ولم يتناول هذا البحث بشكل معمق التباينات في الزحاف، والعلة، أو مقارنة هيكل نمط الشعر مع الأعمال الأدبية الأخرى.

ثالثًا، استخدام السيميائية لِـ تشارلز ساندرز بيرس في هذا البحث يقتصر فقط على كونه نظرية مساندة للكشف عن معنى العلامات والرموز والرسائل الروحية في الشعر. لذلك، هذا البحث لم يتناول مقاربات سيميائية أخرى، مثل سيميائية رولان بارت أو فرديناند دوسوسور، والتي قد تتيح تفسيرًا مختلفًا وأكثر شمولًا للمعاني. رابعًا، تفسير المعنى في هذا البحث يتأثر بشكل كبير بفهم الباحث لسياق اللغة والأدب والقيم الدينية الموجودة في الشعر. وبذلك، يبقى احتمال وجود اختلاف في التفسير قائمًا للباحثين الآخرين الذين يدرسون نفس الموضوع بمقاربات مختلفة. خامسًا، محدودية المراجع المتعلقة بأعمال ابن عراق الدمشقي والدراسات الخاصة بشعر *كلام قديم* تشكل أيضًا عائقًا في توسيع التحليل في هذا البحث. لذلك، يُتوقع أن تستخدم البحوث القادمة مصادر أكثر تنوعًا وكذلك تطوير الدراسة على جوانب المعنى، والأسلوب اللغوي، أو النهج الأدبي الأخرى للحصول على نتائج أكثر شمولاً.

ج. التوصيات

1. الاقتراحات للبحوث المستقبلية

استنادًا إلى نتائج البحث التي تم توضيحها، هناك بعض الاقتراحات التي يمكن أخذها بعين الاعتبار للأبحاث القادمة.

أولاً، يُتوقع من البحث القادم أن يدرس عددًا أكبر من أشعار ابن عراق الدمشقي أو شعراء عرب آخرين للحصول على مقارنة أوسع حول أنماط البحر والقافية وخصائص الجماليات في الأدب العربي الكلاسيكي.

ثانيًا، يمكن تطوير دراسة علم العروض والقوافي بشكل أعمق من خلال تحليل جوانب الزحاف والعلّة وتغيير التفعيلة وكذلك تنويعات الأنماط المستخدمة في الشعر العربي بحيث تصبح نتائج البحث أكثر تفصيلاً وشمولية.

ثالثًا، يُنصح بأن تستخدم البحوث القادمة نهجًا سيميولوجيًا آخر، مثل نظرية رولاند بارت أو فرديناند دو سوسور، لتوسيع تفسير المعنى الرمزي المتضمن في الأبيات. وبالتالي، يمكن أن تقدم نتائج التحليل منظورًا أكثر تنوعًا تجاه المعنى الأدبي العربي.

رابعًا، يمكن للبحوث المستقبلية أيضًا دمج دراسة السيميولوجيا مع نهج الأسلوبية، أو التأويلية، أو التحليل البراغماتي لكي يتم فهم عناصر اللغة والأسلوب الأدبي والرسالة الدينية في الأبيات بشكل أعمق.

خامساً، بالنسبة للطلاب والباحثين في مجال اللغة والأدب العربي، من المتوقع أن تكون هذه الدراسة مرجعًا أوليًا لفهم العلاقة بين بنية الإيقاع الشعري والمعنى الرمزي لها. لذلك، هناك حاجة لتطوير بحوث أوسع بحيث لا يُفهم علم العروض والقوافي فقط كتحليل شكلي، بل أيضاً كوسيلة لفهم القيم الجمالية والروحية في الأدب العربي.

2. اقتراحات للممارسة أو السياسات

بعد ذلك، يقدم الجزء الأخير من نتائج هذا البحث بعض الاقتراحات العملية والسياساتية على النحو التالي:

أولاً، للبرامج الدراسية وخاصة في بيئة قسم اللغة العربية وآدابها. يُتوقع أن تُستخدم نتائج هذا البحث كمادة مرجعية إضافية في إعداد مواد التعلم، خاصة في مجال علم العروض والقوافي ودراسة السيميائية الأدبية.

ثانيًا، يُنصح الطلاب أو الباحثون بأن يكونوا أكثر نشاطًا في تطوير البحوث حول علم العروض والقوافي من خلال دمجه مع المناهج اللغوية أو السيميائية أو الأسلوبية. هذا مهم لإثراء مخزون البحوث الأدبية العربية وتوسيع الفهم للقيم الجمالية والروحية التي تحتويها القصائد.

ثالثًا، بالنسبة للفنانين أو مبتكري المحتوى الإبداعي للقصائد العربية، يُتوقع أن تكون هذه الدراسة أيضًا إحدى الجهود للحفاظ على القيم الأدبية العربية الكلاسيكية وضمان استمرار معرفتها ودراستها من قبل الأجيال القادمة.

UINSSC
UNIVERSITAS ISLAM NEGERI SIBER
SYEKH NURJATI CIREBON